(حديث الغدير)

في إحتفال عيد الغدير الأغرّ ستوكهولم / السويد

السبت: 16 ذو الحجة 1438 الموافق: 8 / 9 / 2017م

✤ سأحدّثكم في هذا المجلس عن جانبٍ مِن تَجربتي (الدينية العقائديّة)
ولِذا فأنا مَسؤولٌ عن أيّ طرحٍ فيما سأُقدّمهُ بين أيديكم لأنّها تجربتي.. (قد توافقونني، قد تختلفون معي.. أنتم أحرارٌ في ذلك).

✤ في مِثل هَذهِ المُناسبة، في مُناسبة الغَدير الشريف.. أبدأُ حديثي مِن هذهِ النقطة، مِن هذا السُؤال: ماذا تعرفون عن الغدير..؟!
ما سمعتموه وما قرأتموه عن الغدير هو كالتالي:

◈ هناك مَن يُحدّثكم عن الغدير في الواقعة التأريخية..(الحدث التأريخي: قِصّة الغَدير.. حَجّة الوداع.. حيث خرج النبيّ إلى غدير خُم، والتفاصيل التي تعرفونها.. واقعة تأريخية وقعتْ في زمان كذا، بالمواصفات الكذائيّة..).

◈ أو أنّ المُتحدّث يُحدّثكم، أو أنّ الكتاب الذي تَقرؤون فيه هو إثباتٌ لِصحّة حادثة الغَدير مِن كُتب المُخالفين.. وسردٌ لِقائمة طويلة مِن أسماء كُتب المُخالفين..نُحاول أن نُثبتَ صِحّة أسانيد الحديث، و أنّ حديث الغدير جاء مُتواتراً في كُتب القَوم.
ورُبّما زادَ الحديثُ في نقاشٍ حول كلمةِ (مولى) و (المولى) ما هو معناها في اللّغة، وكيف تردّدتْ في أشعار العرب.
هذهِ هي الثقافة المُنشترة في ساحة الثقافة الشيعية عن يوم الغدير.. وأعيد بأنّني أتحدّث عن تجربتي الشخصيّة هُنا.. فأنا ما يقرب مِن خَمسين سنّة أتقلّب بين الكُتب الشيعية، فما وجدتُ شيئاً في الكُتب الشيعية حول الغدير غير هذه الثقافة وهذه النقاط التي ذكرتُها..!

✤ سؤال آخر أطرحهُ عَليكم:
لو كان عند أحدٍ منكم مَشروع (اقتصادي، اجتماعي، مَشروع زَواج، أيّ قضيّة من القضايا، أي مُشكلة مِن مشاكل الحياة...) وأنتم مُحتاجون فيها إلى مُحامٍ (إلى رجل قانون).. فلو أنّ هذا المُحامي نَصَحكُم بالتوقيع على عَقْدٍ مُعيّن، على سَنَدٍ مُعيّن.. ألا يجدرُ بالمُحامي أن يُخبركَ ماذا يَشتملُ هذا العَقْد كي تُوقّع عليه؟! ولو وقّعتَ على العقد وأنت لا تعرف مضمونه، ألا تلوم المُحامي؟!
ألا تُلام كيف تُوقّع على عَقْدٍ وأنت لا تعرفُ مضمونه..؟! كيف تُوقّع على وثيقةٍ وأنتَ لا تدري ماذا اشتملتْ عليه هذهِ الوثيقة؟!
لربّما أفضلُ كلمةٍ تُستعملُ هُنا في وصف هذا التصرّف هو أنّ هذا التصرّف غَباءٌ.. أنّ الإنسان يُوقّع على عَقْدٍ لا يعرفُ مَضمونه.

✤ حينَ نَقول (بيعةُ الغَدير).. فالبيعةُ عَقْدٌ، لأنّنا نقول: "بايعنا" يعني: وقّعنا على عَقْد.. ولكن حِين نَسأل: ما هو مَضمون هذا العَقْد..؟! لا تجد أحداً يعرف المضمون! نحنُ في كُلّ سنّة نَحتفلُ في عيد الغدير، ونَقول: نحنُ بايعنا عليّاً ونحنُ في الأصلاب.. ونقول، ونقول.. فما هو مَضمون هذا العَقْد..؟! الفضائيات تتحدّث، المنابر تتكلّم، الحُسينيّات تحتفل، المُؤلّفون يُؤلّفون، المُحاضرون يُحاضرون.. ولكن! هل سمعتم أو قرأتم شيئاً غير الذي ذكرتهُ لكم بشأن الغَدير قبل قليل..؟!

✤ نحنُ نَدّعي أنّنا بايعنا عَليّاً، والبيعةُ لعليّ لا تصحُّ بتمام معنى هذهِ الكلمة (كلمة: لا تصحّ) مِن دون بيعتنا لإمام زماننا.
بيعةُ الغَدير بالنسبة لنا تعني بيعتنا لإمام زَماننا "صلواتُ الله عليه".. وإلّا مِن دون بيعتنا لإمام زَماننا لا معنى لبيعة الغدير أساساً..!

● هذه العبارة التي تحفظونها (اللّهمّ والِ مَن والاه) هي هي بتمام معناها حينما نقرأ في دُعاء النُدبة الشريف - الذي هو مِن مناسك يوم الغدير - نقرأ هذه العِبارة التي تُمثّل جوهر دُعاء النُدبة: (أين وجهُ الله الذي إليه يتوجّهُ الأولياء)
هذه العبارة في دُعاء الندبة تحملُ نفس المضمون بِعينه الوارد في دُعاء رسول الله يوم الغدير (اللّهمّ والِ مَن والاه).
فهؤلاء الأولياء الذين يتوجّهون إلى وجه الله في دُعاء النُدبة، هم الداخلون في دُعاء رسول الله (اللّهُمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه..).
بيعتنا الغديرية هي هي بيعتنا لإمام زَماننا "صلواتُ الله عليه"

✤ بنحو مُوجز أمرّ على أهمّ ما جاء في هذا العقد الذي وقّعنا عليه (أهمّ بنود بيعة الغدير) :

● أولاً: في عنوان هذا العقد:
الآية 67 مِن سُورة المائدة {يا أيُّها الرسولُ بلّغ ما أُنزِلَ إليكَ مِن ربّك وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالَتَهُ والله يعصِمُك مِن الناس...} الخِطاب واضح بأنّه لِشخصٍ موصوف بأنّه (رسول) أي أنّه قد أدّى الرسالة التي عنده.. والمُخاطِبَ هو الله.
فحِين تقول الآية {بلّغ ما أُنزِلَ إليكَ مِن ربّك} يعني هناك شيء آخر مأمور بتبليغهِ غير هذهِ الرسالة.. لأنّ الآية قد وصفتهُ بالرسول، فهو قد بلّغ الرسالة الأُولى بتمامها.. والآن هو مأمور بأنّ يُبلّغ شيئاً آخر وهو البيعة لعليّ بالولاية كما تُخبرنا بذلك الروايات.. إذ تقول الروايات: (بلّغ ما أُنزل إليكَ مِن ربّك في عليّ)

● ما هي الرسالة التي بلّغها نبيّنا فخاطبه الله بـ{يا أيُّها الرسولُ}؟

الجواب: لقد بلّغ نبيّنا التوحيد.. كانت أوّل كلمة نطق بها في بعثتهِ الشريفة هي: (قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا) حتّى قبل أن يُعلن رسالته.
كان النبيُّ يصدعُ بِهذه الحقيقة في وسط الجموع التي كانت تأتي إلى مكّة، حتّى قبل أن يُعلن رسالته. النبي بلّغ التوحيد، ثُمّ أعلنَ عن نبّوتهِ، ثُمّ بلّغ القُرآن بكُلّ تفاصيلهِ.. وشرح الحقائق للناس.. ووو.. تِلكَ هي الرسالة التي خُوطِب لأجلها {يا أيُّها الرسولُ}
ولكن حِين وصلَ الحديثُ إلى بيعة عليّ، فالآية تقول: {و إنْ لم تفعل فما بلّغتَ رِسالته..}!

● الأصل هُنا في هذهِ الآية {وإنْ لم تفعلْ فما بَلّغتَ رِسالته..} الآية قالت ذلك لأنّ كُلّ الذي تَقدّم كان في مَرحلة التنزيل، ومَرحلة التنزيل ليستْ هي حقيقةُ الدين، وإنّما هي مَرحةٌ تمهيديّة..
حقيقةُ الدين في مَرحلة التأويل، وهذا المَضمون واضحٌ في كُتبنا وفي كُتب مُخالفي أهل البيت.. مِن أنّ النبيّ "صلّى اللهُ عليه وآله" بنحوٍ صريح قال لسيّد الأوصياء: (أنّك ستُقاتلهم على التأويل) كما قاتلهم أشرفُ الكائنات على التنزيل.حقيقةُ الدين، وحقيقةُ الإسلام في التأويل، وحِين تَحدّث القُرآن عن مَضمونهِ لم يتحدّث عن التنزيل، وإنّما ذكر التأويل، فقال: {وما يعلم تأويلهُ إلّا الله والراسخون في العِلْم}
حقيقةُ الدين وحقيقةُ الإسلام في التأويل.. وهذهِ المَرحلة بدأتْ مُنذُ بيعةِ الغدير.. فمَرحلةُ التنزيل كانتْ مُقدّمة.. وإلّا فالسُؤال واضح:
أينَ تفسيرُ النبيّ للقُرآن..؟!

● النبي "صلّى اللهُ عليه وآله" فسّر القُرآن، ولكن لأنّ تفسيرهُ كان مُتناسباً مَع مَرحلة التنزيل، لِذلك حتّى الأئمة لم يَرووه لنا..
بل حتّى خُطب النبي في صلاة الجُمعة.. بِرغم كثرتها إلّا أنّ الأئمة لم يرووها لنا لأنّها تتناسب مع مَرحلة التنزيل.
ما جاءنا مِن تفسيرٍ للقرآن جاءنا عنهم "صلواتُ الله عليهم" لأنّه يتناسب مع مَرحلة التأويل.

● في مرحلة التأويل وبالذات في اليوم الثامن عشر مِن شهر ذي الحِجّة، النبيّ صلّى بالمُسلمينَ صلاةَ الظُهْر والعَصر جَمْعاً، وصلاةَ المغرب والعشاء جَمْعاً .. وهي إشارة.. فليس الأمرُ بالغَ الأهميّة إلى ذلكَ الحد، ولكنّها إشاراتٌ ورموز. مَرحلةُ التأويل بدأتْ مُنذ بيعة عليّ في الغَدير.. والآية 67 مِن سورة المائدة صريحة واضحة في أنّ بيعة عليّ هي الأهم: {وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رِسالته}
وأنتم تعرفون أنّ بيعةُ الغدير وقعتْ في آخر أيّام النبيّ الأعظم.. فالنبيّ الأعظم بعد البيعة بشهرين استُشِهد مسموما في الثامِن والعشرين مِن شهر صَفر. فكُلّ هذا الجُهد، القُرآن يقول عَنهُ {فإنْ لم تفعل فما بلّغتَ رِسالته} لأنّ الأصْل في بيعة عليّ.. وهذا يعني أنّ هذا العقد (عقد بيعة الغدير) هو العقدُ الحياتي الأوّل والأخير بالنسبة إلينا.

✤ مِن البنود التي وردتْ في عقد بيعة الغدير:

● البند الأوّل: تُبيّنهُ كلماتُ النبيّ الأعظم في خُطبتهِ يوم الغدير، إذْ يقول "صلّى اللهُ عليه وآلهِ" فيها: (واعلموا أنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، مُفترضَ الطاعةِ على المُهاجرين والأنصار، وعلى التابعين، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجميّ والعربي، وعلى الحُرّ والمملوك، وعلى الكبير والصغير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كُلّ موحّد..
مَعاشـر الناس: تَدبّرُوا القُـرآن، وافهمُوا آياتهِ ومُـحكماته، ولا تَتّبعُوا مُتشابههُ، فَو اللهِ لا يُوضّح تفسيرهُ إلّا الذي أنا آخـذٌ بيدهِ ورافعُها بيدي، ومُعلّمكم مَن كنتُ مولاهُ فهـو مولاهُ وهو علي..) هذا البند الأوّل مِن بنود البيعة.
• إلى أن يُتمّ رسول الله "صلّى الله عليه وآله" خُطبته، وينزل للبيعة.. فيقول:
(إنّي قد بيّنتُ لكم وفَهّمتُكم: هذا عليٌّ يُفهّمكم بعدي) لاحظوا النبي لم يقلْ: "مِن بعدي" وإنّما قال: "بعدي" يعني: يُفهّمُكم في حياتي وكذلك بعد حياتي. يعني أنّ مَصادر العِلم، ومَصادر الفَهْم، قواعد التفكير تُؤخذ مِن هذه الجهة: مِن عليّ، ومِن عليّ فقط وفقط.. (هذا هو العَقد الذي نحنُ وقّعنا عليه) ... فهل التزمنا بِهذا العقد..؟!

● أنا هُنا - كما ذكرت - أتحدّث عن تجربتي، فأقول:
لا أعرفُ تفسيراً للقرآن كتبَهُ مَراجعنا وعلماءنا يأخذُ تفسيرهُ مِن عليّ.. وأتمنى أن يُرشِدَني أحد إلى تفسيرٍ كتبهُ أحدُ مَراجعنا، عُلمائنا يأخذُ تَفسيرهُ مِن عليّ... وأتحدّث هُنا عن تفسير التبيان للشيخ الطوسي، وعن مجمع البيان للشيخ الطبرسي، وعن تفسير المِيزان للسيّد الطباطبائي.. وعن أضراب هذه الكُتب وأضراب هؤلاء الأعلام.
فأقول: أنّني لا أعرفُ كِتاباً في التفسير أخذ تفسيرهُ مِن عليّ وآل عليّ.. بل إنّني وجدتُ هذهِ التفاسير تُعاندُ عليّاً وتُعاندُ منهجَ عليّ في أكثر مَواطنها..!
بل ما هو الأسوأ مِن هذا: فهذه التفاسير يُوجد فيها الكثير مِن المواطن هي أسوأ مِمّا يقولُه حتّى النواصب.. بحيث أنّ ما كَتبَ النواصب يكونُ أقرب إلى أهل البيت بالقِياس إلى ما هو مَوجود في هذهِ التفاسير..!
وكُلّ برامجي السابقة بيّنتُ فيها هذهِ الحقائق بالوثائق.. فراجعوها.. (هذا هو البندُ الأوّل).

● ما يُطرح في مَجالسنا الحُسينيّة هو مِن مَنهجٍ مُخالفٍ لِمنهج عليّ.. فكِبار خُطباء الشيعة لا ينقلون عن عليّ في تفسيرهم للقرآن، وإنّما ينقلون عن غير عليّ.. والمُستمعون لهم يتصوّرون أن ما يُطرح على المنابر هو مِن فكر عليّ وآل عليّ وهم لا يعلمون..!

فالجميع (الخطيب، والمُستمع، وصاحب الحُسينية الذي أنفق أمواله لتأسيسها وبنائها...) الجميع ينقضون بيّعة عليّ وهم لا يشعرون (يعني مِن دون قصد سيّئ)

وسبب نقضهم لِهذا العقد هو أنّ الجميع وقّعوا على عَقْدٍ لا يعرفون مَضمونه.. لا يعرفون أساساً البنود التي جاءتْ في صَكّ بيعةِ الغَدير! هذه هي الحقيقة.

• إلى أن يقول "صلّى الله عليه وآله" في خُطبتهِ الغديريّة:

(ألا وإنّي عند انقطاع خُطبتي أدعوكم إلى مُصافحتي على بيعته، وإلاقرار لهُ بولايته...)

بيعة الغدير أساساً هي بيعةٌ لنبيّنا "صلّى اللهُ عليه وآله".. وهكذا فعل الذين حضروا البيعة: صَفَقوا على يدِ خاتم الأنبياء، وبعد ذلك صَفَقوا على يد سيّد الأوصياء.. يعني هذهِ البيعة بيعة مُربّعة، بيعة مُكرّرة، بيعة مُؤكّدة (بيعة مع محمّد وعليّ على أنّ تفسير القرآن يُؤخذ مِن عليّ فقط).. هكذا اشتُرِط علينا.

(فَو اللهِ لا يُوضّح تفسيرهُ إلّا الذي أنا آخـذٌ بيدهِ) يعني حتّى توضيح التفسير لا يُؤخذ إلّا عن عليّ.

● لابُدّ أن نُفرّق بينَ فُقهاء في نظرَ الشِيعة، وبين فقهاء في نظر العترة الطاهرة.. هُناك اختلاف قَطْعاً، فليس كُل فقيه في نظر الشيعة هو فقيه في نظر إمام زَماننا، لأنّ مَوازين تقييم الإمام تختلف عن مَوازين تقييم الشيعة.

فهناك فقهاء هُم فقط في نَظر الشِيعة فُقهاء، ولِهذا يقول الأئمة (إنّا لا نعدُّ الرجل مِن أصحابنا فقيهاً...) يعني هو فقيه بنظر الشيعة، لا أنّ تعبير (فقيه) ينطبِق عليه على وجه الحقيقة.. وإنّما الشيعة يُسمّونه فقيه.. أمّا في مَوازين أهل البيت فالإمام يقول:

(إنّا لا نعدُّ الرجل مِن أصحابنا فقيهاً حتّى يكون مُحدّثاً، قِيلَ: أَ ويكون المؤمن مُحدّثاً..؟! قال: يكون مُفهّماً، والمُفهّمُ مُحدّث)

هذه صِفة الفقيه عندهم "صلواتُ الله عليهم".. يأخذُ فَهْمَهُ مِن عليّ. (هذا عليٌّ يُفهّمكم بعدي).

● نحنُ إذا أردنا أن نَعود إلى واقعنا الثقافي.. في أوّل العَقد الآية تَقول: {فإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رِسالته} الأصل هو هذا.. وهذا هو نفس المَضمون الذي تُردّده زياراتهم الشريفة. والزيارات في ثقافةِ أهل البيت هي تَجديدٌ وتأكيدٌ للعَهد وتأكيد للمُبايعة.. وكلماتُ أهل البيت واضحة التي تُبيّن ذلك. كما يقول إمامنا الرضا "صلواتُ الله عليهم" (ومِن تمام الوفاء بالعَهد زيارة قُبورهم).

زياراتُ أهل البيت مُجْمعة على أنّ الله بهم فتح، وبهم خَتم.. (هم الأصل "صلواتُ الله عليهم").. والزيارة الجامعة الكبيرة - التي تُمثّل الدستور الشيعي الواضح - تقول الزيارة: (مَن أراد الله بدأ بكم، ومَن وحّده قَبِل عنكم..) البِداية مِن هنا.

• (ومَن وحّده قَبِل عنكم) حتّى التوحيد بدايته منهم "صلواتُ الله عليهم"، بعكس الثقافة الشيعية المطروحة (ما يُسمّى بأصول الدين)

● هذا الرأي الشائع والمشهور والمعروف في الوسط الشيعي مِن أنّ أصول الدين تبدأ هكذا (التوحيد، فالعدل، فالنبوّة، فالإمامة، فالمعاد) هذهِ التقسيمات مِراراً تحدّثتُ عنها وقُلت: أنّ هذه التقسيمات لا تُوجد آية من القرآن ولا رواية عنهم عليهم السلام تُشير إلى أنّ أصول الدين هي هذه. هذهِ الأُصول والتقسيمات للدين تنقضُ بيعة الغدير.. فكلماتُ أهل البيت تقول أنّ للدين أصلٌ واحد فقط وهو الإمام.

أمّا هذه التقسيمات فقد جاء بها علماؤنا مِن كُتب الأشاعرة والمُعتزلة.

• ومِن المُتأخرين.. هُناك مَن قَسّم أُصول الدين إلى (المُرسل والرسول والرسالة) وهذا التقسيم أيضاً لا أصْل لهُ في القرآن الكريم، ولا في أحاديث أهل البيت.. هذا تقسيم قُطبي .. فلو قرأتم كُتب حسن البنّا وسيّد قُطب ستجدون هذا التقسيم موجود فيها.. (صحيح أنّه موجود بِمُصطلحات أُخرى، ولكن نفس النتيجة)

فهذا المرجع الذي قسّم أصول الدين إلى (مُرسِل) وهو الله، و (رسول) وهو النبي، و(رسالة) وجعل لها خصائص، أنّ مِن جُملة خصائصها أنّ لها أئمة!

والآن علماؤنا بشكل عام يُقسّمون العقائد بشكل عام إلى ما يُسمّى بـ(أصول الدين، وأصول المذهب) وهذا مكتوب حتّى في الرسائل العمليّة: مِن أنّ أُصول الإسلام هي: التوحيد، النبوّة، المعاد.. وأصول المذهب: العدل، والإمامة.. وكأنّ المذهب شيء والدين شيء!

وكأن التوحيد في الإسلام شيء والعدل شيء آخر..! لأنّ العدل ليس موجوداً في تقسيمات أصول الإسلام!!

هذا الأمر نشأ بسبب أنّ علماءنا لم يأخذوا تفسير القرآن مِن عليّ.. ولِذلك هم قالوا "صلواتُ الله عليهم": (مَن لم يعرف أمرنا مِن القرآن لم يتنكّب الفِتن) يعني أنّه لا يستطيع النجاة مِن هذه الفِتن.

● هذا البند (أنّ تفسير القرآن يُؤخذ مِن عليّ، وأنّ قواعد الفهم تُؤخّذ من عليّ).. هذهِ البنود ما لم تُفعّل عَملياً في ساحةِ الثقافة الشيعيّة، فإنّنا سنبقى ننقضُ بيعة الغدير في كُلّ ثانية ولحظةٍ مِن لحظاتِ حياتنا..!

وأعني بكلامي هذا (الواقع الإعلامي، الواقع الثقافي، الواقع الفكري، الواقع العلمي، الواقع الفتوائي.. حتّى على مُستوى الفتوى).. فإنّ عملية الإفتاء والاستنباط (وما يُصطلح عليها الآن بالاجتهاد) هذهِ العملية هي عمليّة تفسير للنصّ القرآني ولِحديث المعصومين.. هذهِ العمليّة هي الأخْرى مُتفرّعة عن تِلك القضيّة التي نُقضتْ..!

(بنفس الطريقة التي يُفسّر بها مراجعنا القرآن فإنّهم يستنبطون الأحكام بنفس الطريقة)

هذا الكلام قد يستغربه البعض وقد يستكثره البعض.. لا شأن لي بهم.. (أنا أتحدّث عن تجربتي).. علماً أنّي لا أحدّثكم عن كتاب أو كتابين، وإنّما أُحدّثكم عن كُلّ المكتبة الشيعية (مِن زمان الشيخ الطوسي وإلى يومنا هذا).. هذا هو واقعا الشيعي.

● نحنُ في مِثل هذه المُناسبات في مَحافلنا، في وسائلنا الإعلامية، وفي الانترنتْ أيضاً.. كصفحات الفيس بوك التي تعكس لنا الثقافة الشعبيّة.. تتبّعوا صفحات الفيس بوك فلن تَجِدوا شَيئاً غير هَذا يُردّده الناس بخُصوص الغَدير:

• إمّا حديث عن الواقعة التأريخيّة.

• وإمّا نِقاش مع المُخالفين بإيراد هَذا الحديث مِن كُتبهم.

• أو لإثبات مَعنى كلمة (المولى) بِحسب ما نَحنُ نَعتقد.

• أو نقاشٌ في مسألة أنّ الاحتفال بِهذا اليوم بِدعة مِن البِدَع، وأنّ البويهيّين هم أوّل مَن جاؤوا بها وأمثال ذلك..!

أمّا مضمون البيعة ومضمون العقد الذي وقّعنا عليه، وبنود هذه البيعة فلا يعرف ذلك أحد.

● المُتعارف عليه في مِثل يوم الغدير أنّ الشيعة حِين يلتقون يُهنّئون بعضهم بعضاً بهذه العبارة: (الحمدُ لله الذي أكمل ديننا وأتمّ النعمة علينا بولاية أمير المؤمنين) ... صحيح أنّ الله تعالى فعل هذا و أكمل ديننا وأتمّ النعمة علينا بولاية أمير المؤمنين، وعليٌ فعل هذا أيضاً.. ولكن الذي فعلناهُ نحنُ هو أنّنا نقضنا البيعة..!

أنا لا أقول أنّنا نقضنا البيعة بسوء نيّة.. ولكنّه الغباء (هذا هو أهون ما يُمكن أن يُقال..).